

طموح البعث ان يكون حركة حضارية

حزبنا في القطر السوداني^(١) ، له مكانة خاصة في نظر قيادة الحزب، لأننا لمسنا فيه، منذ البداية، التوجه السليم، والروح النضالية والارادة مع الفهم الحديث، فكانت بدايته، من البدايات السليمة في تاريخ الحزب وفي الاقطار العربية. اعتمدت هذه البداية، اعتماداً كلياً على جهود الرفاق في السودان، فالحزب لم يمددهم بأكثر من الرصيد الفكري والنضالي. . أمدهم بتراث، بخلفية، بياض، ولكن هم الذين تكفلوا في بناء حاضرهم ومستقبلهم، كمناضلين بعثيين في السودان، ولاشك عندي بأن هذا الاعتماد على النفس، والذي كان أكثره اضطرارياً، لحسن الحظ، ولحسن حظ الحزب، وحظ منظمته في السودان، ان الظروف كانت قاسية، صعبة الى حد أنها لم تسمح للمركز بأن يرفد المنظمة في السودان، كما هو المنتظر عادة. . ان هذا الاعتماد على النفس قد أدى الى نتائج ايجابية ثمينة. فكانت هناك ظروف سياسية عربية صعبة، وكانت هناك ظروف داخلية في الحزب ايضاً، تعطل هذا الدور، دور الاتصال الفعال بين المركز والمنظمة، وكان على الرفاق أن يجدوا طريقهم بأنفسهم، وان يتكروا، وأن يجتهدوا ويهتدوا بالتجربة بالاهتداء بتراث الحزب - كما قلنا - ولكن بصورة خاصة بالنظر، نظرة مستقلة ومبدعة الى الواقع، فأوجدوا تلك الصورة الحكيمة التي سمحت لحزبنا في السودان، ان يتجنب ماتعرض له في بعض الأقطار، نتيجة الخلاف الذي حصل بين الحزب وبين (الله يرحمه) عبدالناصر، وبالتالي بين الحزب وبين جماهير الحزب، والجماهير الناصرية، وكانت الجماهير الناصرية

(١) حديث مع الرفاق السودانيين، بتاريخ ٢ / ٨ / ١٩٨٠.

أوسع بما لا يقاس من جماهير الحزب، لأن الحزب هو الذي أطلق - في البداية - هذه الأفكار التحررية والوحدوية، ولما تبناها عبدالناصر، امتزج الحزب مع عبدالناصر، بشكل، انه، لم يعد بالامكان، الابقاء على الحدود التي تميز شخصية الحزب؛ وكان لذلك نتائجه، ولا مجال للخوض فيها الآن . .

المهم ان هذه الصورة التي اهتدى اليها رفاقنا، كانت بحد ذاتها، معبرة عن جدارتهم وكفاءتهم، وعن رؤية غير اعتيادية، ليحافظوا على موقع الحزب بين الجماهير، ليتجنبوا التناقض بين الحزب والجماهير، الجماهير الواسعة؛ وتطورت هذه النواة بالشكل السليم ايضاً، والحزب يتطلع باستمرار، بأمل كبير الى النضال القائم في السودان .

كانت هناك فترة حرجة، مرّ بها الفرع وامتحن فيها، ونجح في الامتحان، كان محصوراً في وسط جامعي، طلابي مثقف وكان مهدداً بخاطر مزدوج، ألاّ ينجح بالوصول الى الجماهير الواسعة الكادحة، ان يبقى يسير بالوسط المثقف والطلابي، أو أوساط المعلمين، المحامين، والأطباء الذين تخرجوا من الجامعة، وكان الخطر الآخر الذي له علاقة بالأول وهو أن تفوته فرص النضال القاسي، ان تكون تجربته النضالية ناقصة. قلت بأن الحزب نجح في الامتحان، لأنه خاض معارك، وهذا يعني انه انتصر على نفسه، انتصر على القوقعة الثقافية، التي تقف احياناً سداً حاجزاً بين الشاب الثوري المثقف، وبين الفعل، بين الفكر والممارسة؛ فكانت لحظة ثمينة وحاسمة عندما زجّ الحزب بنفسه في هذا المعترك، وهذا ما مكّنه - ايضاً - من التغلب على المشكلة الكبرى وهي عدم الانحصار في حدود العمل الطلابي، أو المثقفين، والوصول الى الجماهير الواسعة. فأصبح للحزب رصيد نضالي في السجون وفي المعتقلات . . رصيد من الآلام التي يحملها المناضل، والتي تلفت إليه نظر الجماهير وتجعله موضع ثقة .

هذا بالاجمال مانشر به، من خلال استعراض تاريخ منظمنا في السودان، بالخطوط العريضة، وتجعلنا متفائلين دوماً، ومنتظرين المزيد من العطاء؛ الشيء الهام الذي أود أن ألفت انتباهكم إليه، وانا متأكد انكم تعونه: ضرورة ان تكون منظمات الحزب القومية في الوطن العربي، قائمة بدورها بكل جدية، كما لو لم يكن لها هذا السند الكبير والثمين الذي هو تجربة الحزب في العراق وتجربة الحكم في هذا القطر الذي هو

- كما يسميه الرفيق بدر باستمرار - القاعدة المحررة للأمة العربية . للثورة العربية؛
فالحالة المثالية هي أن يعمل الحزب . . أن تعمل منظماته بدرجة من الجدية والاندفاع
والاعتماد على النفس، كما لو كانت وحدها المسؤولة، نقول كما؛ إذأ، هنا يوجد واقع
ايجابي، تعب الحزب طويلاً حتى حققه، هو تجربة الحزب في العراق، وعندما تنجح
مثل هذه التجربة وتنمو وتتكامل، بشكل غير اعتيادي . . بشكل فيه من عوامل الصحة
والاستقامة والابتكار والاندفاع والجد، ما يجعلها تجربة فريدة ورائدة . . وهي جديرة
بأن تكون هي القاعدة للثورة العربية كلها، فاذن هي قادرة أن تخطط لنضال الحزب
القومي وهي قادرة ان تزود الحزب القومي بشتى الوسائل المادية والمعنوية، ان تقدم له
الكثير من تجاربها، من ثمار التجربة النضالية والتنظيمية والسياسية، بشكل يسهل على
فروع الحزب، في الاقطار العربية ويمكنها من اختصار الزمن .

ان هذه الايجابيات لا يمكن ان نهملها أو نتجاهلها، ولكن في الوقت نفسه،
لايجوز ان نتعامل معها، بدون تعمق في النظرة، وبدون انتباه وتوتر في الوعي
وبالشعور، فلكي تكون هذه الأشياء الايجابية التي تقدمها ثورة الحزب في العراق الى
الحزب القومي، لكي تكون - فعلاً - ايجابية، أي مضافة الى المزايا النضالية التي يتمتع
بها الحزب القومي، لا بد أن تكون مدركة لتلك الضرورة والا فانها تصبح متكأ
وبديلاً، أو ما يشبه ذلك، وتكون مضعفة لروح الاستقلالية ولروح الاعتماد على
النفس، وعندئذ تنعكس الآية فلا الحزب القومي يستفيد، ولا ثورة الحزب في العراق
تستفيد لأن الحزب القومي الذي لا يحسن التعامل مع هذه الايجابيات يضعف دوره،
أو يفقد دوره في قطره، ويصبح عبثاً ايضاً على ثورة الحزب .

نضال الحزب لا يمكن ان ينحصر في مكان واحد ولا في مكانين، وانما يجب ان
يكون في كل الاقطار التي استطاع الحزب ان يكون فيها نواة، وان يكون الاعتماد على
النفس هو القانون الأول، عندما تكون المحصلة محصلة ضخمة وايجابية عندها
يكون - فعلاً - النضال نضالاً قومياً، لأنه قام على المشاركة الفعلية للجماهير شعبنا
العربي، في كل جزء من أجزاء الوطن العربي، وليس النضال بالنيابة، ليس شيئاً فوقياً،

نحن أجزاء لوطن واحد، ولأمة واحدة، ولكن النضال يجب أن يكون في كل قطر يقوم به الحزب، وأن يشرك فيه جماهير الشعب حتى تكون المحصلة بأن جماهير الشعب العربي كلها، تكون قد شاركت في صنع ثورتها التحررية الوحدوية الاشتراكية، وتكون هذه المشاركة الفعلية في مستوى واحد من الوعي المتقارب، عندئذ تكون جماهير الأمة، في مختلف أقطارها، محصنة ذاتياً، فهي عندما تدفع الثمن، وعندما تشارك، وتصنع نضالها، تكون محصنة ضد النكسات وضد التأثيرات الخارجية. والآن اترك للرفاق مجالاً لطرح الأسئلة.

● الرفيق نائب الأمين العام، عندما تكلم عن دور النشاط الخاص في البناء الاشتراكي، اشار إلى أن الملكية الخاصة في الحزب، عندما تطرح في المرحلة الحالية، لا تطرح باعتبار أنها مسألة مرحلية مرتبطة برغبتنا بأن يشارك القطاع الخاص بعملية التنمية. . . انها النشاط الخاص مرتبط بالاشتراكية فهو نشاط ثابت ودائم في تفكير الحزب، في حين نلاحظ في المنطلقات النظرية وردت اشارات الى ان الملكية الفردية، مهما كان نطاقها ضيقاً هي بالنهاية ستكون ملكية مستغلة. . . وان اشتراك الحزب في الملكية الفردية، بمرحلة محددة من المراحل، كان له آثار ضارة على تفكير الحزب؛ وهنا نؤثر وجود افتراق بين الطرحين، نحن نلاحظ ان الاطروحات الموجودة حالياً في الساحة العراقية منسجمة مع الافكار والمبادئ التي طرحها الحزب في الاربعينات والخمسينات، أكثر مما ورد في المنطلقات النظرية نفسها. . . ونلاحظ ان الرفيق القائد المؤسس كان له بعض الاعتراضات على المنطلقات النظرية نفسها، والتي كان قد اشار لها في اجتماعات اللجنة العقائدية أو في اجتماعات المؤتمر القومي السادس، باعتبار ان العناصر التي كتبت التقرير العقائدي نفسها - كانت تحاول ان تطعن في تاريخ الحزب وفي تراثه، وكان عنده اعتراضات عليها. الشيء الذي نريد ان نعرفه من الرفيق القائد المؤسس: هي الظروف التي وضعت فيها المنطلقات النظرية، والتي جعلتها تفترق عن الطروحات والمبادئ التي كان الحزب قد طرحها في البدايات من نشوئه، والظروف كالتالي مكنت الحزب حالياً من خلال التجربة العراقية، ان يعود مرة ثانية لمنطلقاته الأساسية. (الظروف التي صاحبت اصدار

المنطلقات النظرية في المؤتمر القومي السادس بتلك الصورة، والظروف التي صاحبت تجربة الحزب في القطر العراقي، والتي جعلته قادراً على ان يعود بمنطلقات الحزب الأصلية، متجاوزاً مثل هذه الظروف).

- الرفيق نائب الأمين العام على صواب، عندما يقول بأنه ليس شيئاً مرحلياً، وإنما شيء ثابت لفكر الحزب.

من بداية الأربعينات، كل الافكار الأساسية في حزب البعث متكونة عند الذين بدأوا، متكونة تكويناً فكرياً، نتيجة تفكير مستقل، ونتيجة درس واطلاع على التجارب الثورية الأخرى، نتيجة دراسة التاريخ العام، وتاريخ البشرية، والدروس التي يمكن ان نستخلص من التاريخ، ومن تاريخنا القومي، من حياة امتنا، كل ذلك كان حاضراً عندما سجلنا هذه الافكار الأساسية، سواء في المؤتمر الأول، في مواد الدستور، او قبل ذلك في الكتابات، ومن جملة هذه الافكار موضوع الملكية الخاصة، نحن طموحنا كان، أن حزب البعث ليس مجرد حزب سياسي، ولاحتى مجرد حزب ثوري. وعندما نتكلم عن الطموح نعني أن المهمة التي على الأجيال المناضلة ان تحققها فيما بعد لكي تجعل هذا الطموح حقيقة: الطموح بأن يكون حزب البعث حركة نهضة عربية شاملة، حركة حضارية، حركة تجديد وبعث وانبعثت للامة العربية في كل نواحي النشاط الانساني، وان دلائل كثيرة تشير الى ان الامة العربية مُهيأة لهذه النهضة وهي تتمخض عنها، لذلك فإن الرفاق الاول في الحزب، انطلقوا من ثقة بالنفس، متأية من ثقة بالامة، وهي ليست وجدانية وانما موضوعية، هناك دلائل كثيرة تشير الى هذا الاستعداد وهذا التحفز، فعندما يكون الطموح بناء حركة - تشق الطريق لنهضة عربية شاملة، في السياسة، وفي الاجتماع، وفي الاقتصاد وفي الحرب، وفي السلم، والاختراع، وفي الفنون، سمينها البعث العربي، ولفظة اشتراكية، اتت فيما بعد، عندما صار الدمج بين حزبنا وحزب الاستاذ اكرم الحوراني، كان ثمة اصرار على اضافة كلمة اشتراكي، لأن لها جاذبيتها، ولها تأثيرها لكنها من حيث منطق الفكر البعثي، فهي محصلة بديهية، لان البعث العربي بعث لكل شيء، وللأشراكية، فإذن ماهي الا مزادات و«المنطلقات النظرية» تدل بدورها، على عقلية مراهة وخلف

المزاودين على القيادة التاريخية للحزب، آنذاك كانت تكمن دوافع الانتهازية، دوافع القفز السريع الى السلطة والمراكز القيادية فحشروا هذه المبالغات، دون قناعة، دون دراسة للملكية الخاصة، لم تكن عندهم الضحية الوحيدة، فقد كانوا يريدون ذبح القومية بكل بساطة، لأنهم كانوا يعتبرون أن «القومية شيء متخلف» ويجب ان تزول، طبعاً، لم يترك لهم المجال لأن يعثوا بمصير الحزب وبمصير الامة بمثل هذه الخفة، لكن رغم ذلك بقيت بعض البصمات على المنطلقات النظرية. . بصمات الغوغائية والانتهازية، فإذا، من يفكر في المستقبل الناهض المبدع للامة العربية لا يمكن ان يأخذ الامور بمثل هذه البساطة، بالغاء الملكية الخاصة، انها يتقيد بمبدأ منع استغلال الانسان للانسان واتخاذ التدابير لمنع تشكل قوى اقتصادية يمكن ان تكون مستغلة لجهود الآخرين، أما الملكية في حدود بسيطة، فهذا هو الشيء الواقعي. . . هذا هو الشيء المتزن والمعبر عن نضج في النظرة، هذا هو الشيء الذي ينم عن دراسة للنفسية البشرية بما فيه نفسية الانسان ونفسية المجتمع، فالانسان كانسان، والمجتمع كمجموعة متجانسة، لا يمكن ان يرضوا بحياة ميكانيكية. . . حياة خلايا النحل والنمل، لأبد من مراعاة الجانب الانساني، جانب الحرية، جانب المبادرة الفردية فالملكية الخاصة في الحدود التي لا تتناقض مع روح الاشتراكية تضمن للانسان هذا الجانب المعنوي، جانب الاستقلالية، جانب الشعور بحريته، بفرديته، ضمن دوره الاجتماعي، والتجارب الاشتراكية كلها تسير في هذا الاتجاه، اتجاه التخلص من النظرة الحرفية للمبدأ الاشتراكي، النظرة المتطرفة، والأخذ بعين الاعتبار الواقع الانساني واقع النفس الانسانية، فنحن قلنا لسنا بحاجة الى ان نكرر التجارب الخاطئة، نبدأ بالشيء الصحيح، علماً بأن هذه التجارب - عندما بدأ حزبنا - لم تكن بعد قد أعطت كل نتائجها ولم تكن كل أخطائها قد اتضحت، فكان الحزب يملك الرؤية المتعمقة والرؤية المستقبلية. . لماذا تمسك حزبنا في العراق بالافكار الاساسية التي طرحها الحزب في الاربعينات؟

الحزب في العراق كان دوماً هو حزب الاربعينات، يعني الحزب الاصيل. . الحزب التاريخي، وهذه الفترة التي مرت عليه في العام ١٩٦٣ هي فترة عابرة وقصيرة،

دخلها تشويش المراهقة، تشويش عدم النضوج، الشباب، بعض الشباب، المتنافسين فيما بينهم، وصلوا الى السلطة في ظرف، في منتهى الحرجة، ولم يكونوا مهئين للقيادة، لقيادة هذا الحزب في قطر كالعراق، وفي ظروف كذلك الظروف.. فكان الارتجال والتخبط والمزاوادات، والطروحات غير النزيهة التي لاتصدر عن قناعة، وانما فقط من اجل احراج آخرين، من اجل تحقيق مكاسب شخصية عملية، للوصول الى المراكز في ذلك الوقت. إن ثورة السابع عشر من تموز هي ثورة النضج، نضج الحزب للاستفادة من الدروس، دروس ثورة (١٤ رمضان) وانتكاستها والردة التي أعقبتها والآلام التي نتجت عن ذلك، فالارادة الجبارة التي قررت ألا تستسلم وأن تعيد بناء الحزب، وان تستعيد السلطة للحزب، هذه الارادة، هذا العقل الجديد كان لا بد أن ينجح، ولا بد ان يتسم بالنضج، بالواقعية، بالرصانة بالأصالة، للرجوع الى الافكار البعثية الاساسية التي كان الحزب في العراق - كما قلت - متشعباً بها، وهذا ما يجعلنا على هذا النحو من الاستبشار الذي تلمسون آثاره، نعبّر عنه احياناً بالمناسبات لأننا متفائلون في مستقبل الحزب، بمستقبل هذه الثورة في العراق، لأنها فعلاً برهنت، وبرهن العقل الذي يقودها على عدة مزايا كبيرة، من جملتها ومن أهمها هذا العمق، هذه الأصالة التي أهلتها الى ان يفهم الافكار الاساسية لحزب البعث كما اريد لها ان تفهم، منذ البداية، بقيت زمناً لم تحظ فيمن يفهمها مثل هذا الفهم العميق.

● كيف نوفق بين علمانية البعث ونظريته الايجابية للدين؟

- باختصار وكما سبق أن اشرت الى أن طموح الحزب، فكر الحزب من حيث الطموح - أي طموحنا - كان هكذا: بأن يكون هذا الفكر فكراً للنهضة العربية الشاملة فكراً لتجديد الحضارة العربية في هذا العصر، فأى فكر بهذا الطموح يبدو وكأنه يجمع المتناقضات، قد يبدو كذلك، ولكن علينا ان نتعمق لنرى ان ما يبدو متناقضاً، هو ليس كذلك، فهو علماني، وله نظرة ايجابية، ونظرة عميقة ورائدة سبق فيها الكثيرين، بمعنى أنه، في الوقت الذي ظهر الحزب فيه، كانت الماركسية سائدة فكراً بين المثقفين في العالم فلم يستسلم لارهاب فكري عالمي، واعطى للدين أهميته في النفس الانسانية، وفي التاريخ الانساني، وفي المستقبل الانساني ايضاً، لأن الحزب نظر الى

الدين، كشيء خالد، فالحاجة للدين شيء عميق وأساسي، ولا يمكن ان يزول فأشكاله وصوره يمكن ان تتطور، التدين قابل للتطور لكن الدين، من حيث أنه حاجة إنسانية، خالد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نظر الى تراثه الروحي من خلال الأمة العربية، وأعطاه المعنى الحي الثوري الذي يمكن ان يكون اساس الثورة العربية الحديثة، فالفهم العميق للدين والفهم العميق للاسلام، كدين وكتراث عربي ثوري حضاري، هذا الفهم اوصل الى نتيجة يمكن ان نعبر عنها هكذا: الحياة العربية الحديثة . . المستقبل العربي الذي نريده، الذي نناضل من اجله، نناضل لبنائه؛ هذه الحياة العربية الناهضة، المعافاة، المبدعة، القادرة على الابداع، القادرة على تجديد الحضارة، لا يمكن ان تكون بهذه الصفات، وان تؤدي هذه المهام والأغراض، اذا لم ترتو الى ابعاد حدود الارتواء من معين التراث الروحي للأمة العربية، وان تكون نظرتها الى الروح بصورة عامة، نظرة ايجابية، عميقة.

لنرجعكم الى كتابات الأربعينات، في بداية الاربعينات، مقال في عام ١٩٤١، موجود في كتاب «في سبيل البعث» بأن القومية العربية، وأظن بالاصل، العنوان هو، «القومية العربية ليست لفظاً مجرداً، بل حقيقة حية» هذا المقال نشر في مجلة اسبوعية بدمشق، في بداية العام ١٩٤١، فيه اشارات عن علاقة العروبة بالاسلام، اشارات ليست مستفيضة، الى التصور الأول، وهو أن القومية، في نظر البعث، هي المضمون الجامع لكل شيء، هي المستوعبة، والدين جانب اساسي من جوانبها لذلك قلت لكم بأننا اطلقنا على الحزب اسم، البعث العربي، وفي مقال، في سنة ١٩٥٠، قلنا انه لا بد ان يرافق البعث، بعث القومية، ان يرافقه بعث في الدين، طبيعي ان الأمة عندما تنهض وتنهض بوجودها، تشعر بشخصيتها، تشعر برسالتها ونهوضها، فان ذلك لا يكون مقتصرأ على ناحية واحدة بل هي تنهض بكل روحها، وبكل امكاناتها، وبكل طاقاتها، وبكل تطلعاتها.

فالدين شيء أساسي، في الحياة، الناحية الروحية، الأخلاقية، نظرة الانسان الى الكون، هذا شيء متعلق بالدين في بداية الانسان ونهايته، بداية الكون، الحكمة من وجوده، كل هذه تساؤلات مصيرية رافقت وجود البشر على الأرض؛ فعندما تنهض

الأمة نهوضاً سياسياً واجتماعياً، لا بد ان تنهض نهوضاً دينياً؛ وفي اطار هذه النظرة لا يعود ممكناً، ان يبقى الدين وكأنه اختصاص جماعة، حلقات في المجتمع، كما حصل في اوربا، نحن اولاً نفهم هذه الناحية بشكل آخر، ثانياً، ان نظرتنا ادخلت الشيء الاساسي والجوهري في الدين، ادخلته في الحياة القومية، الا أنها لم تجعل مهمتها دينية، يعني مهمة البعث العربي ليست شؤون الآخرة، وشؤون العقاب والثواب، جوهر الدين، حركة، تنقية، تطهير للنفس وللمجتمع، ورجوع الى الصفاء، الى البديهة، الى الفطرة، الى التجاوب السليم مع قوانين الحياة التي لا تستقيم الا بالمقاييس الأخلاقية، وبمقاييس العدل، ومقاييس الرحمة، وهذه الأشياء التي نص عليها الدين، بالاضافة الى كل ذلك، نحن فهمنا من الاسلام الوصايا، وصايا نموذجية لحياة العرب، ولها اشعاع انساني، وهو ثورة انسانية، ظهرت في ارض العرب ومادتها العرب، العرب هم مادة الاسلام، لكن هي ثورة انسانية بأعمق معاني هذه الكلمة، لأن الاسلام يعالج كيف ينبغي للعربي، وغير العربي ان يتصرف. كيف ينبغي للانسان ان يسلك ويعالج مصير الانسان، ووجود الانسان في الحياة، فالاسلام يتوجه الى البشر عامة، لكن هذه الرسالة ظهرت عند العرب وجنودها وابطالها هم من العرب، مرت باطوار ومراحل هي النموذج الأعلى والأرقى لكل حركة ثورية صادقة وأصيلة وجادة. مراحل نشوء الدعوة والاطوار التي مرت بها هذه مفروض اننا كلنا نعرفها، وكيف تتجلى فيها القومية، النضال، الجهاد والفكر، الفكر الثوري وتأثيره، الممارسة وماتلهم من تجارب جديدة، ومن تطوير للفكرة الأساسية، كل هذا كان في نظر الحزب درساً ثميناً، يُمكن ان يتجدد دوماً، وليس شيئاً للحفظ، للتقديس، للإعجاب فقط وانما فيه قابلية دائمة في الأمة العربية لأن تجدد نفسها حسب هذا النموذج، أي نموذج الاسلام، جوهر الاسلام كما قلنا، ارجاع النقاء للانسان في المجتمع، ازالة الزيف. . ازالة الشر، وارجاع الحرية والانطلاق والتحرر من الخرافات ومن القيود، ومن عبودية الافكار الموروثة والسقيمة التي اصبحت عوائق، اصبحت عامل تفرقة، عامل تناحر في المجتمع، عامل ظلم لفئة ضد فئة، تحرير للعقل، تحرير للفكر من الخرافات، من المعتقدات الموروثة؛ فقلنا ان الاسلام هو دين العقل في

الدرجة الأولى، العقل السليم الصحيح، الذي يرفض التناقض ويرفض المستويات المتدنية، ويرتقي بالإنسان إلى التفكير المنطقي، التفكير الناضج؛ كل الجدل القائم في زمن البعثة بين المسلمين، بين الدين الجديد وبين المشركين، أو أهل الكتاب، الذين هم على أديان سبواية، كان قائماً على أساس المنطق العلمي الناضج، وعلى أساس حرية التفكير، فلا ضغط ولا إكراه، فنحن في هذا العصر، وفي سعينا لبناء المستقبل الجديد الناهض، مهمتنا ليست إنشاء دولة دينية، بل دولة قومية، الدين جزء أساسي فيها، كروح ينبث في فكرها، ينبث في نظرتها الأخلاقية، في نظرتها الإنسانية، نحن أمة عربية، تعيش غير منعزلة عن العالم، ضمن عالم، ضمن شعوب، لها ديانات مختلفة ولها حضارات مختلفة، ولها بلدان وأقاليم وظروف مختلفة، علينا أن نتعامل مع هذا العصر ومع هذه الإنسانية، فلا يمكن أن نتقيد بحرفية النصوص، أو نرجع إلى أمور تكون هي عامل تفرقة وقد تكون مظهر تخلف بدلاً من أن تكون عامل نهوض، هذا المقصود بالعلمانية، العلمانية: تريدان تبني مجتمعاً قومياً ودولة قومية، لا تفرق بين المواطنين، تحترم حرية كل الفئات وكل المذاهب والمعتقدات، ليس هناك تمايز أو تمييز بين فئة لها امتيازات على فئة أخرى، الكل في عرف القانون، في عرف الدولة متساوون، أمامهم نفس الفرص، نحترم حرية الإنسان، كرامة الإنسان، ولكن هل هذه العلمانية تعني فقط بأن نجمع فئات متباينة في هذا المجتمع ونسميها أمة عربية؟ أم أننا نحرص على الانسجام الحقيقي العميق، الانسجام الفكري والروحي في هذه الأمة؟.

الانسجام هو أساس تكون الأمة وأساس استمرارها وأساس تطورها وعطائها. هناك التربية القومية التي يدخل جوهر الدين فيها وروح الإسلام، لأنه هو التراث العربي، وهو النموذج الثوري العربي، المثل العربية، الأخلاقية الإنسانية فيه، تدخل في التربية القومية، عندما نؤمن لكل المواطنين، تربية قومية واحدة توحدهم، عندها لا يهمنا أن يكون هنا هذا المذهب، وهناك هذا الدين، وهناك هذه الطائفة، طالما أن كل المواطنين انصهروا في تربية قومية واحدة، عندها الانتهاء للأديان وللطوائف يصبح انتهاء لأشياء، قد تكون تراثية، تاريخية، أي شيء، لكن لا يتناقض، ولا يتعارض مع

اهداف الدولة العربية، بهذا نكون قد ضمنا نموذجاً واحداً وموحداً، لكل المواطنين في الدولة العربية.

● حول بناء الاشتراكية في بلد عربي واحد، ونظرة الحزب إليها.

- الحزب كان يدعو دوماً للسير في طريق الاشتراكية، لتحقيق ما يمكن تحقيقه من الاصلاحات الاشتراكية، دون ان يقتنع بأنه يمكن الوصول الى تحقيق كامل للاشتراكية، من دون الوحدة العربية، الحزب مؤمن بأن التحقيق الكامل للاشتراكية، يكون عندما تتحقق الوحدة العربية، لكن باستمرار وبالممارسة عندما كان للحزب دور في سورية، حتى قبل سنة ٦٣ عندما كان له دور في النظام البرلماني السوري، كان له وزن مؤثر في سن التشريعات ذات الطبيعة الاشتراكية.

مفهومنا للاشتراكية هو ككل مفاهيم حزبنا، مفهوم يختلف عن المألوف هو اعمق، لذلك لم نحصر فهمنا بالأمور الاقتصادية والاجتماعية، واننا من البدء تناولنا الاشتراكية من زاوية الانسان وحرية الانسان، والهدف الروحي والحضاري للانسان، اكثر مما هو، لتأمين الحاجات، لايجاد الرخاء والعدل، اعتبرنا كل هذا مقدمة ووسيلة لبلوغ غاية أهم، هي تحقيق شخصية الأمة العربية، تحقيق رسالة الأمة العربية في الوجود، تحقيق شخصية الانسان العربي من خلال قيامه بدوره في حركة النهضة والبعث، الدور الفاعل والمناضل، لو سلمنا بأن الاشتراكية يمكن ان تتحقق في قطر عربي واحد لتوفر عوامل مساعدة كثيرة، الثروة واشياء كثيرة، لو سلمنا بهذا وهذا نفترضه افتراضاً، للجدل، تبقى الناحية المعنوية شخصية المجتمع وشخصية الفرد، الانسان، هذا المجتمع الذي هو جزء وليس كلاً، دائماً يشعر بالنقص ودائماً يفتقد الكل، يعني، يشعر بأنه هو جزء من كل وليس مستقراً وليس مطمئناً، وهذا الانسان العربي، في هذا الجزء من الوطن العربي، الذي يحقق الاشتراكية، هذا الانسان، لو وفرت له الدولة كل حاجاته، يبقى من الناحية المعنوية يشعر بالنقص، يشعر بالاستلاب، لأنه هو ايضاً موجود في نفسه وفي حسه وضميره ووعيه موجود مع اخوانه في الأرض المحتلة، موجود مع الجماهير في كل قطر عربي يعاني من الاستبداد والاستغلال والقهر، موجود في كل مكان، وبالتالي، إذا كانت الاشتراكية غايتها اسعاد

المجتمع واسعاد الافراد فهو لن يكون سعيداً في حالة التجزئة، إنما يكون سعيداً في النضال، الاشتراكية تقدم له ما يسد حاجاته وتقدم ما يؤهله للنضال في سبيل تحرير باقي اجزاء الوطن وفي سبيل توحيد اجزاء الوطن، هذه ناحية مهمة وهي ناحية معنوية، لكن اذا اخذنا ايضاً الناحية المادية، الاشتراكية العربية، هي بمستوى الحضارة العربية، الاشتراكية العربية شيء يقدم للعالم كله، يعني هو تعبير عن الحضارة العربية الجديدة، الحضارة العربية الجديدة لا يبينها قطر عربي واحد مهما كان. الحضارة العربية الجديدة تستند الى جهود كل العرب وألى تجارب كل العرب والى كفاءات ونضالات كل العرب، كل الجماهير العربية، عدا عن ناحية الموارد الاشتراكية العربية التي تعتمد على الأرض العربية كلها وليس على جزء واحد، للتكامل سواء في الزراعة أو في التصنيع، أو في الاختراع، اذا قلنا بأنه يمكن ان نحقق حداً جيداً من الاشتراكية في قطر، اذا توافرت شروط الحزب المناضل الواعي والقيادة التاريخية والشروط المادية وغيرها ممكن، لكن هذه الاشتراكية في قطر واحد ممكن منذ الآن ان تحمل سمات الاشتراكية العربية، ان تشير الى نسبها لأنها هي منتسبة الى هذه الصورة التي سوف تتحقق في المستقبل، فيها بعض المعالم، بعض الملامح، كما يشير الابن الى ملامح نسبه واهله، لكن كما قلنا، الاشتراكية العربية هي طموح حضاري مقترن بحالتين: بحالة التحرر الوطني العربي من كل سلطة اجنبية ومن كل استلاب لجزء من اراضيه وبصورة خاصة، تحرير المركز، اي فلسطين ووحدة هذا الوطن، ووحدة هذه الأمة، لتصبح في حالة العطاء، وعندها تكون اشتراكيته ذات معالم عربية.

● كيف نواجه المؤامرات الاستعمارية وفي الوقت نفسه، خطر الفكر الاشتراكي

الأممي الذي يطرح نفسه كبديل لفكر الثورة العربية؟

- هذا السؤال قديم، وهو مازال يحتفظ بأهميته، ولو أنه لم يعد بنفس الدرجة من الأهمية، هذا السؤال مطروح، مطروح علينا ونحن طرحناه على أنفسنا، لأن التحرر من الاستعمار كان من الدوافع الى تكوين الحزب، فقد كان هناك استعمار عالمي، طبعاً استعمار غربي يستعمر معظم اجزاء الوطن العربي في ذلك الحين، وكانت هناك الحركة الشيوعية والدولة الشيوعية الكبرى، قلعة الاشتراكية، كما كانوا يسمونها في ذلك

الوقت، التي تقدم البديل للاستعمار وتطرح نفسها ك محررة للشعوب، فنحن قلنا ان الاستعمار يأتينا من الغرب، فالخلاص والانقاذ يفترض ان يكون منا، أن ننقذ نحن أنفسنا، فالذين كانوا يقولون، نحن نريد ان ننقذكم، كانوا بذلك يتجاهلون دورنا، ويعتمدون الى الغائه، إلغاء دور الأمة العربية .

فبدايات الحزب كانت مقترنة بالثقة بأن الأمة العربية لا يمكن ان تكون على هامش التاريخ، وأن لها دوراً، ولها رسالة، وهي صناعة حضارات منذ فجر التاريخ، وهي قابلة ان تتجدد وتبني حضارتها من جديد ولا يمكن ان تكون تابعة، هذا كان واضحاً في ذلك الحين. لأن، بدايات فكر الحزب، وانضاج ولادة الحزب، في النصف الثاني من الثلاثينات، عندما كانت الحركة الشيوعية تابعة للنظام الستاليني .

في الاربعينات، خرج الحزب الى النور، وبداية الاربعينات تعني الحرب العالمية الثانية، فكان أمامنا واقع لا يترك مجالاً لأي التباس، وهذا ماسجلناه في كراس هو خلاصة لأحاديث مع الشباب في البيوت عام ١٩٤٣ ونشر عام ١٩٤٤، عن (الشيوعية والقومية العربية). من جملة هذه الأحاديث أن الاتحاد السوفيتي متحالف مع ما كان يسمى «بالديمقراطيات» يعني «بريطانيا وفرنسا» ضد المانيا النازية وايطاليا واليابان . . قلنا متى سيتفرغ الاتحاد السوفيتي للوطن العربي، من أجل ان يساعد على تحريره؟ هل هو الآن يساعدنا ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي أم أنه يساعد بريطانيا وفرنسا علينا؟ عملياً فهو متحالف معها وداخل في حرب حياة أو موت، إلى أن ينتصر على ألمانيا .

هل علينا أن نسكت عن الاستعمار البريطاني في مصر وفي فلسطين وفي عدن وفي السودان؟

هل نسكت عن فرنسا في المغرب العربي بطوله، وفي سورية ولبنان، وهكذا . . ؟ كان هذا الموقف امتحاناً بسيطاً، وواضحاً جداً، للمنطق الأممي، الذي يطلب منا ان نقف على النقيض من حقوقنا المشروعة في الدفاع عن حريتنا، في المطالبة باستقلالنا، وفي النضال ضد مستعمرينا، ودخلنا في الاصطدامات الفكرية والعملية مع الشيوعيين في ذلك الوقت، أثناء الحرب، طبعاً بعد الحرب، الأمور لم تحتفظ بهذه

الحدة، بهذا التناقض الحاد. الاتحاد السوفيتي خرج منتصراً، ضار ممكناً ان يقوم بدور ايجابي في الحياة الدولية، لمصلحة كل الشعوب التي تخضع - بشكل أو بآخر - للاحتلال والاستعمار، مما ساعد الأحزاب الشيوعية، فلم تبق بنفس الوضع الحرج والمخرج التي كانت فيه، في زمن الحرب بل انتقلت الى وضع أقل بعداً عن الجماهير، فيه شيء من التوافق، لكن كان يستحيل عليها أن تصل الى درجة من الانسجام والتوافق التي يصل لها حزبنا. أي التي يصل لها حزب وطني مخلص، لأن الحزب الشيوعي له نظرة وارتباطات أعمية تتعدى قدرة البلد الذي يعمل به؛ ومنذ ذلك الحين حتى الآن، كانت تأتي الأدلة كلها على أن هذا المنطق الأممي هو منطق نظري، أكثر مما هو منطق واقعي، منطق نظري انكشفت نواحي الضعف فيه، خلال سبعين سنة من الممارسة، فكان لا بد أن تحدث تراجعات عديدة عن ديكتاتورية البروليتاريا، وعن الموقف من القومية ومن الدين، لقد ضعف تأثير الشيوعية حتى من الناحية الفكرية، وأصبحت المسافة بعيدة، وطويلة بين تلك الهالة القدسية التي كانت لها، تلك الهبة والعصمة العلمية، التي كانت تحاط بها الشيوعية منذ أربعين سنة، أو ٤٥ سنة، وبينها الآن. فإلى جانب التراجعات العديدة، في مجال الاشتراكية وعلى صعيد الفكر والتطبيق الاشتراكي، ومجالات أخرى، حتى تصمد التجربة الاشتراكية أمام تحدي الغرب، حدث انقسام شطر العالم الشيوعي الى شطرين: الصين والاتحاد السوفيتي الأمر الذي يدمغ النظرية الشيوعية بالضعف، عن حل مشكلات هذه التجارب، فالشيوعية ما عادت تشكل خطورة كما كانت في الماضي، لم تعد هي البديل، لكنها من جهة أخرى، موجودة حاضرة، ولا بد أن نكون فكرة عنها، وأن يكون لنا اسلوب في التعامل معها، فهي، أحياناً، قد تكون صديقة حميمة، وأحياناً أخرى، قد تشكل خطراً، وقد تكون معادية، لكنها ليست العدو الأول، طالما، الاستعمار والصهيونية والامبريالية موجودة، يعني هناك أولويات، فالصورة التي انطلق منها الحزب في البداية، هي صورة الاستقلالية التي مازالت صحيحة، وستبقى صحيحة، الاستقلالية التي عبر عنها بالحياد الايجابي، وعدم الانحياز.

فالمنطلق الأول الذي كان منذ بداية الحزب واضحاً جداً، وشيئاً أساسياً، في

نظرية الحزب، هو استقلالية طريق الأمة العربية، الأمة العربية لها طريق مستقل في التحرير وفي البناء في طورها السلبي، أي نضالها من أجل التحرر، ثم في طورها الايجابي، في العطاء وبناء مجتمعها وحضارتها، قلنا، بأن مصداقية الشيوعية كنظرية، كفكر، ضعفت، ضعفت كثيراً، لأنها صارت تجر وراءها عدداً من التناقضات والأخطاء التي تضعف هذه المصداقية، يبقى أن البعض مازالوا - في اوربا وفي اجزاء من العالم - يقولون بأن الماركسية يمكن ان تقدم دليل عمل، الماركسية، فيها نظرية، فيها جهد فكري كبير ومحترم، وربما تطورت أيضاً، وتناولتها أدمغة عديدة، وكبيرة واجتهدت فيها وطورتها فهي وكل النظريات الاجتماعية، يمكن ان يستفاد منها.

نحن ما أغلقنا عقولنا عن الماركسية، استفدنا منها، وقرأنا أشياء كثيرة فيها، بنظرة علمية ونقدية، ليست نظرة متعصبة، ولكن نظرة نقدية، وقلنا منذ البداية، بأن الماركسية فيها نواح خاطئة وفيها نواح سطحية، النواحي السطحية مثلاً، فهمها للدين فهو فهم سطحي، الخطأ مثلاً، الخطأ الكبير اغفالها للقومية، حقيقة القومية، وايضاً، سطحية الفهم للأمية، فأعميتها أممية نظرية، نحن نؤمن بنوع من الأمية، بصيغة من الأمية، لنا مفهوم أممي ولكنه مفهوم حي يختلف عن هذا المفهوم المجرد الذي تبين انه فاشل.

الفلسفة التي قامت عليها الماركسية، فيها تعصب، فيها مبالغات، فيها تأكيد على جانب من الحقيقة يضخم كثيراً، كما يضخم ايضاً الخطأ الذي في غيرها، وهذا يعني، أنها تفتقر الى النزاهة العلمية رغم ادعائها بالعلمية، فهي برغماتية، بمعنى انها تستهدف النجاح بصرف النظر عن الوسائل، لذلك فهي تبالغ، وتقلل، وتزيد، وتنقص، فتبتعد عن الموضوعية التي هي شرط المعرفة العلمية. نحن نشعر براحة عقلية وراحة وجدانية، لأننا لانحتاج الى المغالطة، والى المبالغة، لانحتاج الى أن نعمل هذه الاشياء التي لجأت لها الماركسية.

الفلسفة المادية التي بنيت عليها الماركسية، فيها نواحي الضعف وفيها نواحي القوة التي لاتنكر، وقلنا بوضوح بأنها هي اول محاولة فكرية للنظر الى التناقضات الاجتماعية، بنظر واقعي وجدي بعيد عن الطوباوية، بعيد عن الأحلام، يعني هي

انزال هذه المثل الانسانية القديمة، في العدل وفي المساواة وفي الحلم . . في المجتمع السعيد والعاقل، انزالها الى ارض الواقع، لذلك قدرت ان تؤثر، و قدرت أن تفجر ثورات؛ أما تفاصيل هذه الفلسفة، فإنها تنطوي على تفسيرات متعسفة وغير جدية وبخاصة، إغفالها لأهمية النواحي الروحية في حياة البشر.

٢ آب ١٩٨٠